

حكم هدم التماثيل (تماثيل بوذا أنموذجاً)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد
فإن الواجب على المسلمين في كل مسألة صغيرة أو كبيرة هو الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة على فهم سلف الأمة كما قال الله تعالى ((وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)) وقال تعالى ((وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً)) وغيرها من الآيات . وأما من السنة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
((.. فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))

وإن مما انتشر اليوم بين عامة _ أي جملة _ المسلمين أخبار هدم التماثيل في أرض أفغانستان من قبل حركة طالبان ، وكان هذا الخبر هو محل إهتمام وسائل الإعلام المختلفة الغربية والعربية ، الكافرة والمسلمة ، وأحدث الخبر ردة فعل قوية على المستوى العالمي فقامت المنظمات العالمية بإرسال مندوبين إلى أرض أفغانستان لوقف تدمير الآثار التاريخية ، وعرضوا نقلها إلى ديارهم ، وتعالت صيحاتهم بضرورة الإسراع في إنقاذ هذه التماثيل ، ولاسيما كبيرهم الذي هو على صورة (بوذا)

وأقول : لاتثريب على أولئك القوم في تباكيهم ، وحرصهم على هذه التماثيل ، فالكفر ملة واحدة كما هو قول بعض أهل العلم ، ثم إن القوم قد ينطلق بعضهم من جوانب مادية ترابية صخرية بحته فقط ، لكن الذي يدمي الفؤاد أن يقوم بعض المسلمين بالتباكي لهدم التماثيل ، وباليات هذا التباكي صدر من الغوغاء والرعاك لكانت المصيبة أخف _ وماهي بأخف _ لكن أن يقوم بعض المنتسبين إلى العلم ، المتبوين مقاليد الفتوى في بلادهم ، وعبر القنوات الفضائية بالتباكي على هدم التماثيل والقول (بأن ذلك ليس من الإسلام في شيء ، وهو بريء من ذلك ، بل الإسلام يحافظ على المعالم التاريخية ، والآثار الجميلة) ، بل صرح أحد المفتين أنه لاآثار سيئه لبقاء تماثيل بوذا ، فسبحان ربي : كأنهم رضعوا من البانها !! أين ذهبت عقيدة هؤلاء المفتين وغيرتهم ، أم أن العقيدة تتغير بتغير الزمان والمكان؟! فرحماك ربي ، وأسألك الثبات على العقيدة الصحيحة حتى الممات . آمين .

وتوضيحاً لهذه المسألة (حكم هدم التماثيل) وموقف الإسلام من ذلك أقول :

أولاً: التماثيل : جمع تمثال ، وهي الصورة الممثلة _ المجسمة _ على شكل إنسان أو حيوان أو غيرهما مما فيه روح .

ثانياً : أول ماحدث الشرك والانحراف عن العقيدة في قوم نوح عليه السلام ، فإنه كان في قومه رجال صالحون فلما ماتوا حزن عليهم قومهم ، فأوحى إليهم الشيطان أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد ، حتى إذ هلك أولئك ونسي العلم عبدت من دون الله تعالى ، قال ابن عباس _ رضي الله عنه _ (كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام) .

فبعث الله تعالى نوحاً عليه السلام ليدعوا الناس إلى توحيد الله ونبد الأصنام والتمائيل كما قال تعالى : ((إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم (1) قال يا قوم إني لكم نذير مبين (2) أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعوني (3) يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون)) (4) لكن قومه أصروا على كفرهم وعنادهم كما قال تعالى : ((قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خساراً (21) ومكروا مكراً كباراً (22) وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً (23) وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً)) (24) فاتخاذ التماثيل وتصويرها كان سبب الشرك .

فما بقي لأحد أن يقول : أن التماثيل لا تأثير لها على الناس ، كيف وهي تُصرف لها من العبادات ما يجب أن يصرف لله عز وجل .

ثالثاً : أما حكم هدمها وإزالتها فقد دل على ذلك الكتاب والسنة ، فمن الكتاب العظيم :

1_ قال تعالى مخبراً عن كلمته موسى عليه السلام ، أنه أحرق العجل الذي عبد من دون الله تعالى ونسفه في اليم : ((قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفه في اليم نسفا)) فأزاله موسى عليه السلام ؛ لأن في إبقائه محنة ؛ لأن في النفوس أقوى داعٍ إلى الباطل .

2_ ما ذكره الله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام من قيامه بكسر الأصنام وجعلها جذاذاً كما قال تعالى : ((فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون))

قال ابن القيم _ رحمه الله _ : وهذا نص في الاستئصال . أ.هـ .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي _ رحمه الله : (فحين رأوا ما حل بأصنامهم من الإهانة والخزي ((قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين)) فرموا إبراهيم بالظلم الذي هم أولى به حيث كسرها ولم يدروا أن تكسيه لها من أفضل مناقبه ومن عدله وتوحيده) أ.هـ .

فهذه الأدلة دالة على مشروعية تكسير الأصنام والتمائيل ، وقد يقول قائل إن تكسير التماثيل والأصنام كان في شرع من قبلنا، وهو ليس شرعاً لنا كما قاله بعض أهل العلم (وبحث هذه المسألة يرجع فيه إلى كتب أصول الفقه) فأقول وعلى الله توفيقى واعتمادى ، أن مسألة _ تكسير التماثيل _ فيها حفظ للدين الذي جاءت كل الشرائع بحفظه من جهة الوجود والعدم

على الديانة بالتوحيد في الملل

قد أجمع الأنبياء والرسل قاطبه

وحفظ عقل وعرض غير مبتذل

وحفظ نفسٍ ومالٍ معهما نسب

قال الله تعالى : ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب))

فدين الأنبياء واحد وهو الإسلام عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ قَالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ)) رواه مسلم .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله وفعله وجوب تكسير الأصنام والتمثيل ، فمن قوله : عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((أَنْ لَا تَدْعَ تِمْتَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ))

وفي رواية ((وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا)) رواه مسلم . وفي رواية مسند الإمام أحمد _ رحمه الله _ ((وَلَا تِمْتَالًا إِلَّا وَضَعْتَهُ)) وضعته : أي حطمته .

قال الإمام النووي _ رحمه الله : ((فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح))

وأما فعله عليه الصلاة والسلام فمن ذلك :

1_ مارواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُونَ وَثَلَاثُ مِائَةٍ نُصِبَ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) (جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ)

2_ بعد أن تم فتح مكة وطهرت الكعبة من الأصنام أرسل النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى نخلة لهدم العزى التي كانت مضر جميعاً تعظمها فهدمها .

وأرسل عمرو بن العاص إلى سواع صنم هذيل فهدمه ، وأرسل سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة بالمشلل (ناحية قديد على طريق مكة المدينة) فهدمها . وبذلك أزيلت أكبر مراكز الوثنية حيث ذكرها الله في القرآن ((أفرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى)) .

3_ مارواه البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ جَرِيرٍ قَالَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلْصَةِ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ وَالْكَعْبَةُ الشَّامِيَّةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَنْتَ مُرِيحِي مِنْ ذِي الْخَلْصَةِ وَالْكَعْبَةِ الْيَمَانِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ فَتَفَرَّتْ إِلَيْهِ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِنْ أَحْمَسَ فَكَسَرْنَاهُ وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ فَدَعَا لَنَا وَلَا أَحْمَسَ)) .

قال الحافظ في الفتح : (وفي الحديث مشروعية إزالة مايفتنن به الناس من بناء وغيره سواء كان إنساناً أو حيواناً أو جماداً) أ.هـ .

وبعد هذا تلحظ _ أخي المبارك _ صراحة الأدلة في وجوب هدم التماثيل وإزالتها ، وهي رادة على كل مخالف . لكن بقي مسألة آخيره وهي : متى تهدم ؟

إن المتأمل في فعل النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته يجد أنه عليه الصلاة والسلام لم يسرع إلى هدم الأصنام والتمثيل في أوائل دعوته ، وقد كان يشاهدها حول الكعبة ؛ لأنه ليس من الحكمة في ذلك الوقت التعرض لها ،

فلما انتشرت الدعوة ، واتسعت الدولة المسلمة ، وكثر الداخلون في الإسلام ، الفاهمون له فهماً صحيحاً (ودخل الناس في دين الله أفواجاً) سارع النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها بعد فتح مكة ، بعد أن هدمها وأزالها من القلوب . ومن القواعد المقررة في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الشارع ينظر للنتائج ويعتبرها ، فإذا كان الناتج من الأمر والنهي زيادة في المنكر الذي يراد إزالته ، أو زوال للمعروف الذي أردنا تكثيره .. فإن الأمر أو النهي في هذه الحال يكون سبباً في ازدياد الباطل وتقليل المعروف علم أولم يعلم . ودليل هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عزم على تغيير البيت وردده على قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك _ مع قدرته عليه _ خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك ، لقرب عهدهم بالإسلام .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا : ((أَلَمْ تَرِي أَنَّ قَوْمَكَ لَمَّا بَنَوْا الْكُعْبَةَ افْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ لَوْلَا حَدَّثَانُ قَوْمَكَ بِالْكَفْرِ لَفَعَلْتُ)) رواه البخاري (1480)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية _رحمه الله _ : (.. فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم ، إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباده وليس عليه هداهم) وفي الختام أقول :

_ هل بذل العلماء وصناع القرار الجهود لدعوة الناس إلى التوحيد ونبذ الشرك من القلوب ، قبل هدم صوره في الخارج؟! .

رزقني الله وإياكم علماً نافعاً ، وعملاً صالحاً ، وأعوذ بالله من فتنة القول والعمل .. آمين .

كتبه

زاهر بن محمد الشهري

9 / ذو الحجة / 1421هـ